الرسالة التاسعة

فارس لا يترجل

بقلم

محمد أحمد الراشد

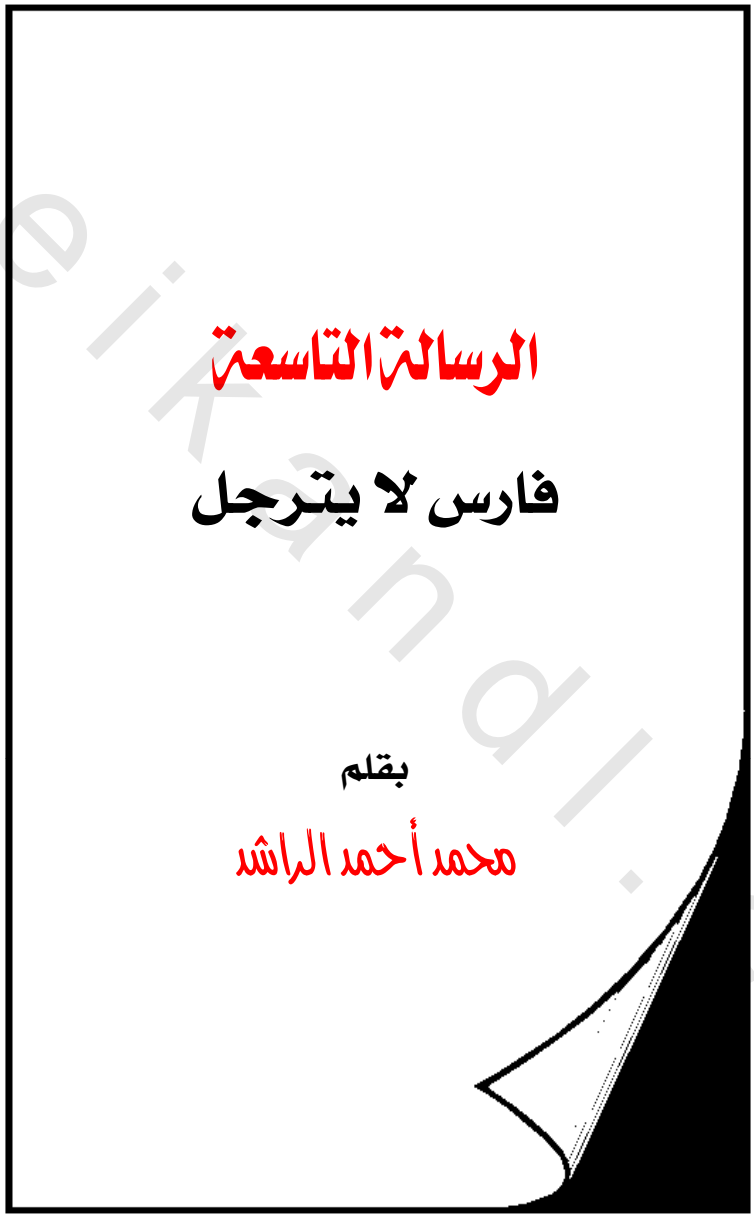

obeikandl.com

obeikandl.com

فارس لا يترجل

لابد للدعوة من داعية لا يستريح وفارس لا يترجل، فهو آخذ بزمام فرسه، طائر على جناح السرعة ينبئك عن حاله المشبوب المهموم، حديث رسول الله ﷺ الذى أخرجه البخارى فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: (.. **طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله، أشعث رأسه مغبرة قدماه، إن كان فى الحراسة كان فى الحراسة، وإن كان فى الساقة كان فى الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع**).

أو ما يفصله لك النبى ﷺ فى الرواية الأخرى أكثر فيقول: (**من خير معاش الناس رجل آخذ بعنان فرسه، يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار إليها؛ يبتغى الموت مظانه**).

ذلك الفارس والداعية همه متميز متفرد عن هموم الناس، فإذا سارت هموم الناس فى أفلاك شهواتهم سار نجم همه فى أفلاك دعوته، ويصدق فيه وفى الناس قول الشاعر:

سارت مشرقة وسرت مغربا شـــتان بين مشـــرق ومغرب

فهو فى ليله قائم، وفى نهاره هاجم، وفى سره عامل، وفى جهره داع، يقضى الليل والنهار فى هم واحد، ويقلب كل أنواع الوسائل يتردد بها إلى الناس، يخطب إلى قلوبهم ود الدعوة، ويعطيهم المهر مقدماً، عروساً تتلألأ فى الجنة. كما قال رسول الله ﷺ لأصحابه فى بيعة العقبة: (**لكم الجنة**). وعداً واحداً ليس هو من أعطيات الأرض. وذلك هو نصيب الدعاة إذ ليس من أعطيات الأرض إلا التعب والنصب ويتقدم إليك نموذجاً شامخاً تجذب أنوار جدة القلوب، وهى تلوح من خلال آيات كتاب الله.

إنه فى ذلك الداعية الذى لا يعرف الراحة، ولا يلذ له النزول من على صهوة الدعوة، ذلكم هو نوح عليه السلام إذ يقول الله عنه:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ

﴿عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ (١)

انظر إليه وتأمل حاله، واسأل نفسك: أين أنت منه؟.. فهو فى قيام لا يهدأ معه، وفى ركوب لا نزول معه، يصل ليله بنهاره. وليس هذا فحسب، بل إن القوم معه فى غاية الجحود والصدود والسخرية، ومع ذلك فهو لا تلين له قناة، ولا تفلُّ له عزيمة مسرج خيل همته، ممتطٍ ظهر عزمه، وقومه نبصرهم وهم يصمون آذانهم ويغطون رءوسهم بثيابهم حتى لا يسمعونه ولا يرونه، زيادة فى النكاية به.. يخبرك عن عمق ذلك العناد ما يردده ابن كثير فى تفسيره عن قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه (تنكروا له لئلا يعرفهم) وقال السُدى: غطوا رءوسهم لئلا يسمعوا ما يقول) (٢).

تأمل أكثر فى الآيات، ففى التأمل عظات.. إنه يبدو من خلال الكلمات يتجول فى أحيائهم، ويطرق عليهم بيوتهم، بل ها هو ذا يبدو يعمل لهم احصاءاً بلغتنا الحاضرة وهو يمر عليهم واحداً واحداً: ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ﴾ (٣)، أى كلاماً ظاهراً بصوت عالٍ: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ (٤)، هذا مقام الدعوة بالترغيب فلما لم يفلح معهم عدل بهم إلى دعوتهم بالترهيب فقال: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ (٥)، أى عظمة وخوفاً (٦).

ثم جاءهم فى السر يتدسس إلى بيوتهم فى ظلمات الليل وهمس الكلام حتى لا يخرج الكبرياء منهم، فقال لهم ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ (٧)، أى فيما بينى وبينهم، فنوع عليهم الدعوة لتكون أنجع فيهم.

أى صدود يواجه هذا النبى صلى الله عليه وسلم وأية عزيمة تجابه هذا الصدود منه، فهو يتوسل بشتى الوسائل: فى الليل والنهار، فى السر والعلانية، فى الجهر وفى الترغيب والترهيب.

ويدركك ابن الجوزى سريعاً ليذكرك بنوح ويسن لك سنة النوح على الدعوة إذ قل بواكيها بين الناس اليوم، فيقول فى لطف مواعظه ينفخ فيك العزيمة، ويعلمك سنة الركوب بلا ترجل، والقيام بلا استراحة.. **فيقول لك:**

---

(١) نوح: ٥ ـ ١٣.
(٢، ٦) مختصر ابن كثير: ٣/ ٥٥٣.
(٣، ٥، ٧) نوح: ٩.
(٤) نوح: ١٠ ـ ١٢.

(أين أنت والطريق ـ طريق الدعوة ـ طريق نصب فيه آدم، وناح لأجله نوح، وألقى فى النار إبراهيم. . . .وبيع يوسف بدراهم بخس، ونشر بالمناشير زكريا، وذبح الحصور يحيى. . وضنى بالبلاء أيوب، وعالج الفقر محمد ﷺ . . .)[١] .

وأنت نائم قد سبقتك قافلة الخير، فإذا أردت اللحاق بها، فتوسَّد درع الهمهم وإن قمت فعلى أقدام القلق، كأن النوم حلف على جفا أجفانك.

وأنشد معى بنشيد الشاعر:

أرقى قد رنَّ لى من أرقى ورثى لى قلقى من قلقى

لتكون أنت النائحة الثكلى على هذه الدعوة، فلا يرقأ لك دمع حتى تراها قد استوت على سوقها وآتت أكلها، فيكون لك مع سفيان الثورى نصيب إذ يسأله ولده فيقول له: يا أبت لماذا إذا تكلمت أبكيت الناس؟ فأجابه إجابة القلب الذى لذعته الحرقة على هذه الدعوة فقال: (يا بنى إن النائحة الثكلى ليست كالنائحة الأجير).

تأمل واعمل لتكون ذلك الداعية الذى أسرج جيل همته، وامتطى صهوة عزائمه يدفعه إلى زيادة بذل وإسراع حديث رسول الله ﷺ الذى أورده البخارى ومسلم فى صحيحيهما كأنوار تطلع فتزيح ظلمة القعود والكسل،عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ :(**تجدون الناس كإبل مائة، لا يجد الرجل فيها راحلة**)[٢] .

إن الزاهد فى الدنيا، الكامل الزهد فيها والرغبة فى الآخرة قليل جدًّا كقِلَّة الراحلة فى الإبل.

وقال آخرون: (إن مرضى الأحوال من الناس، الكامل الأوصاف قليل منهم جدًّا).

وما استثنى رسول الله ﷺ الراحلة إلا لكونها سريعة الخطى تحمل أثقالاً تساقطت من إبل الطريق، كذلك الداعية هو الراحله المسرعة التى تحمل أثقال الدعوة التى عجز عن حملها ضعاف الناس فألقوها عجزاً وتكاسلاً فيبادر هو ليتصدى لحملها لتصل إلى قلوب لم تكن بالغتها إلا بشق الأنفس، وفى نفسه مع كل هذا ضرام يشتعل وهَمٌّ يتقد. . وهو ينشد بلسان الحال والمقال:

فإذا نطقت فأنت أول منطقى وإذا سكت فأنت فى إضمارى

(١) اللطف فى الوعظ/ ٤٧ .
(٢) رواه مسلم.

أخفى من البـرحا، نارا مثـلمـــا يخفى من النـــــار الزياد الوارى

واخفض الزفرات وهى صواعدُ واكفـــف العبرات وهى جوارى

وهكذا الداعية نار فى قلبه على الدعوة، وزفرات تتصاعد. وعبرات تتجمد تأجج ما فى داخله، فإن لم تسعفك الهمة لأن تكون راحلة الدعوة وحاملها، فعلى أن تكون طائر الدعوة الذى يحملها إلى أصقاع بعيدة ليكشف عما هنالك ويأتى بجدتك بالأخبار فيقول لك، ولنبى الله سليمان عليه السلام: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾[(١)]، ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝٢٥ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾[(٢)].

فانظر ماذا فعل تحليق هذا الطائر فى سماء الدعوة؟لقد أوقف ذبح سليمان وتهديده له،وزوده بعلم لم يعلمه سليمان وصار داعية يعيب على المتقاعسين العابدين لغير الله تفريطهم ذاك ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ﴾[(٣)]، وجاء بشعب يقوده من زمامه إلى الله بعد أن كان عابداً للشمس والأصنام، وكافأه النبى ﷺ إكراماً له من الله، فنهى عن قتله، وسل ابن كثير يخبرك عن خبره فى تفسيره إذ يقول معلقاً:

(ولما كان الهدهد داعياً إلى الخير، وعبادة الله وحده، نهى عن قتله، كما روى عن أبى هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: نهى النبى ـ ﷺ ـ عن قتل أربع من الدواب: النملة والنحلة والهدهد والصرد)[(٤)]. أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه.

فإن لم تُمكَّن من تحليقه هكذا، فليكن ترفعك عندك خبرها من همة ابن الجوزى إذ قال:

(لى همة أتعبتنى أو خلقت لى همة عالية تطلب الغايات، بلغت السنَّ وما بلغت ما أملت فأخذت أسأل تطويل العمر، وتقوية البدن، وبلوغ الآمال، فأنكرت علىّ العادات. **وقالت:** ما جرت عادة بما تطلب. فقلت: إنما أطلب من رب قادر على تجاوز العادات.

وقـد سـألته هذا السؤال فى ربيع الآخر من سنة خمس وسبعين ـ أى من عمره ـ فإن مُدَّ لى أجل وبلغت ما أملته نقلت هذا الفصل إلى ما بعد وبيضته

(١) النمل: ٢٢.
(٢) النمل: ٢٥، ٢٦.
(٣) النمل: ٢٥.
(٤) أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه.

وأخبرت ببلوغ آمالى، وإن لم يتفق ذلك فسيدى أعلم بالمصالح فإنه لا يمنع بخلاً ولا حول إلا به) [١] .

قال الطنطاوى (محقق كتاب صيد الخاطر): لقد عاش ابن الجوزى بعد هذا السؤال اثنتين وعشرين عاماً فصار عمره سبعاً وتسعين عاماً.

وهمك يكمل همتك، لكن مصدره هذه المرة يأتيك من خبر رسول الله ﷺ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(من جعل الهموم همًّا واحدا** (يعنى هَمَّ آخرته) **كفاه الله همَّ دنياه، ومن تشعبت به الهموم فى أحوال الدنيا لم يبال الله فى أى أوديتها هلك)**[٢] .

فإن استعصى عليك الهم والهمة، فاقترب من نبى الله موسى عليه السلام وشاركه فى دموع ساخنة ذرفها، واسمع إلى البخارى يحدثك عن دموعه فى حديث الإسراء الطويل:

(... فأتيت على موسى، فسلمت فقال: مرحبا بك من أخ ونبى، فلما جاوزت بكى، فقيل: ما أبكاك؟ قال: يارب هذا الغلام الذى بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أفضل مما يدخل الجنة من أمتى)[٣] .

أتراه بكى لخسارة صفقة تجارية، أو لانخفاض عملة نقدية أنزلت رصيده الى الأرض، أو لأن نومة طويلة قد فاتته فما أدركها.

لا... إنما بكى لأن تابعه من الرجال فى ساحة الدعوة أقل من تابع رسول الله ﷺ وأنت حرى بك أن تبكى إذ ترى تابعك من الرجال قليل... وزرعك فى حديقة الدعوة ضئيل. وإن أردت أن يرتفع عندك الرصيد فتزود بقولة عمر بن الخطاب: (الراحة للرجال غفلة)[٤] .

وأنَّى للداعية أن يستطيب الراحة، وفى التعب فى سبيل الله كل اللذة...

(وقيل لعلقمة: كم تعذب هذا الجسد الضعيف؟ قال: لا تنال الراحة إلا بالتعب.

وقيل لآخر: لو رفقت بنفسك. قال: الخير كله فيما أكرهت عليه نفوسنا.

وقيل لمسروق بن الأجدع: لقد أضررت ببدنك؟ قال: كرامته أريد) [٥] .

---

(١) صيد الخاطر/ ٢٩٩.
(٢) رواه ابن ماجه.
(٣) رواه البخارى.
(٤) أدب الدنيا والآخرة للماوردى / ٨٢.
(٥) العقد الفريد (٣/ ١١٣).

obeikandl.com

فإن لم تكن هذا ولا ذاك فتقدم مع ابن قيم الجوزية لتأكل معه من زاد فى زاده، (فى قدوم وقد تجيب).

(فقال: ثم جاءوا إلى رسول الله ﷺ يودعونه، فأرسل إليهم بلالاً... قال: **(هل بقى منكم أحد)** قالوا: نعم، غلام خلفناه على رحالنا هو أحدثنا سنًّا. قال: (أرسلوه إلينا) فلما رجعوا إلى رحالهم، قالوا للغلام: انطلق إلى رسول الله ﷺ فاقض حاجتك منه.. فأقبل الغلام حتى أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله إنى امرؤ من بنى أبزى، يقول: من الرهط الذين أتوك آنفاً... فاقض حاجتى يا رسول الله قال: **(وما حاجتك)**؟ قال: إن حاجتى ليست كحاجة أصحابى... وإنى والله ما أعملنى (أقدمنى) من بلادى إلا أن تسأل الله ـ عَزَّ وجل ـ أن يغفر لى ويرحمنى، وأن يجعل غناى فى قلبى، فقال رسول الله ﷺ وأقبل على الغلام: **(اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه فى قلبه)**...

فانطلقوا راجعين إلى أهليهم، ثم وافوا رسول الله ﷺ فى الموسم بمنى سنة عشر، فقالوا: نحن بنو أبزى، فقال رسول الله ﷺ: **(ما فعل الغلام الذى أتانى معكم)**؟... قالوا: يا رسول الله: ما رأينا مثله قط، وما حدثنا بأقنع منه بما رزقه الله، لو أن الناس اقتسموا الدنيا ما نظر نحوها ولا التفت إليها، فقال رسول الله ﷺ: **(الحمد لله، إنى لأرجو أن يموت جميعا)**.. فقال رجل منهم: أو ليس يموت الرجل جميعاً يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: **(تشعب أهواؤه وهمومه فى أودية الدنيا، فلعل أجله أن يدركه فى بعض تلك الأودية فلا يبالى الله ـ عَزَّ وجل ـ فى أيها هلك)**[1].

دقِّق النظر فى هذه القصة، وأعد التأمل فى قول رسول الله ﷺ: **(الحمد لله إنى لأرجو أن يموت جميعا)**.. إنه يرجو أن يكون همه همًّا واحداً، وشغله شغلاً واحداً، هو هذه الدعوة: فدعوته كل حياته، ودعوته رصيده المالى، ودعوته عقاراته وبساتينه، فهو يعيش لها ويأكل لها، وينام لها ويستيقظ لها، ويبذل لها ويخاصم لها، ويحب لها، ونشيده، وهو سائر نشيد الداعية الذى لا يستريح والفارس الذى لا يترجل:

لها أحاديث من ذكراك تشغلها عن الطعام وتلهيها عن الزاد

ولا تكتفى بهذا وحسب، وإنما ترقى إلى همة أعلى، تلك هى همة فرى

(١) زاد المعاد: ٣/ ٦٥١.

العبقرى الذى حدثك النبى ﷺ عن عبقريته حيث قال رسول الله ﷺ : **(بينما أنا على بئر أنزع منها، جاءنى أبو بكر وعمر فأخذ أبوبكر الدلو فنزع ذنوبا أو ذنوبين وفى نزعه ضعف والله يغفر له، ثم أخذها ابن الخطاب من يد أبى بكر فاستمالت فى يده غرما ـ دلوا عظيماً ـ فلم أر عبقريًّا من الناس يفرى فرية فنزع حتى ضرب الناس بعطن)**[(١)] .

فأين أنت من أنوار هذه العبقرية التى فرت فرياً سقى ظمأ الناس بماء الإسلام وفاض السقى حتى نالت الإبل نصيبها من تلك العبقرية التى تتجاوز النزع الضعيف وتربأ بنفسها عنه؟!! وأنت أولى بأن تكون عبقرى الدعوة الذى لا ينام طويلاً، وإن غلبه النوم ولابد ففى ساحة الجهد والتعب. . . وهو النوم الخفيف الذى قال عنه ابن القيم **رحمه الله**: (لابد من سنة النوم ورقاد الغفلة، ولكن كن خفيف النوم)[(٢)] .

فاحذر يا داعية الإسلام أن تنطلى عليك وعلىّ الوساوس التى تريد لنا أن نجلس وننعزل لكتبنا ومكتباتنا وأهلينا وأولادنا، ونترك الدعوة إلى الله ـ عز وجل ـ، واصعد إلى أعلى من ذلك أو تصبح تفكر الدعوة فى صلاتك كما بَوَّبَ البخارى فقال: باب (يفكر الرجل الشىء فى الصلاة) وقال عمر رضي الله عنه: **(إنى لأجهز جيشى وأنا فى الصلاة)**[(٣)].

فهل تجهز أنت خططاً فى صلاتك تساهم فى دفع الدعوة وإيصالها إلى غايتها، أم نصك لك سمعك بقول ذلك الملحد الذى يقول: إن عليهم فهم الماركسية، حتى تكون بالنسبة لهم كالماء والهواء ورغيف الخبز اليومى.

أفيغوص عن الماء شىء، أم ينوب عن الهواء أمر، أم يغنى عن رغيف الخبز طعام. . مع أن هذا إنسان لا نصيب له من نعيم الجنة، ولكنه يركب جياداً للهمة، فماذا يقول الذى قال الله تعالى له: ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ ﴾[(٤)] .

(فاركب يا أخى ولا تترجَّل، وقم ولا تقعد، فقد ذهب عهد الفراغ، واسمع لعمر وأصحابه رضي الله عنهم إذ جاءوا إليه فقالوا له: لـوتفرغت لنا قليلاً؟ فقال لهم: وأين الفراغ؟ لقد ذهب وقت الفراغ، ولا فراغ إلا عند الله)[(٥)].

---

(١) رواه البخارى.
(٢) الرقائق/ ٥٧ .
(٣) البخارى ١/ ٤٨ .
(٤) طه: ٧٥، ٧٦.
(٥) الرقائق، نقلاً عن طبقات ابن سعد ٥ / ٣٩٧.

هيا اركب أخى هيا، وليكن زادك الإخلاص فهو خير لزاد.. وهل يتأتى لفارس قد أخذ بعنان فرسه واغبرَّت قدماه ولا يرى أفى الساقة هو أم فى المقدمة؟..أيؤذن له أم لا؟ إلا بالإخلاص.. ركن البيعة كما يراه أستاذ الجيل ...

فبالإخلاص يكتمل البناء.. وبالإخلاص يكون الصبر على اللأواء.. نعم فهو جذر الإيمان.

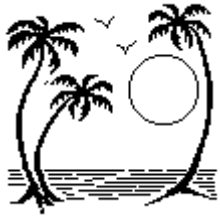

obeikandl.com

الإخلاص جذور الإيمان

الحمد لله الذى جَعَلنا من أمة الإسلام خير أمة أخرجت للناس بشهادة كتابه القرآن الكريم. .والحمد لله أن جعل لنا الفهمَ والوعى بـ (كيف نكون خير أمة أخرجت للناس) فهمًا مدركاً لتوجيهها الكريم: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[١]، خير أمة لا بعرقها ولا لونها، وخيرُ أمة أخرجت للناس هى أمة جمعها الإيمان بأنّ الجماعةَ رحمة والفرقة عذاب، وهى أمة تعتزّ بكلّ فرد فيها لأنه على ثغرة من ثغورها يسدّ ثغراً ويؤدّى دوراً. . هى أمة هذا المسلم الذى لا زال يدبُّ على الأرضِ استجابةً من الله القوى العزيز لنبيه المصطفى الذى دعاه: «**اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لا تعبد فى الأرض**»[٢]، فكان أن انتصر محمدً ﷺ فى بدر، وبعده استلم الراية أبو بكر وانتصر فى اليمامة، ثم استلم الراية آخرون، ثم استلم الراية صلاحُ الدين وانتصر على الصليبيين فى حطِّين،ثم استلم الراية آخرون،ثم استلم الرايةً محمد الفاتح وفتح القسطنطينية، ولاتزال رايةُ الحقّ المباركةُ تنتقل من يدٍ كريمةٍ إلى يدٍ كريمةٍ تحمل الراية حملاً.

ولست أبالى حين أقتل مسلما على أى جنب كان فى الله مصرعى

حتى حمل الراية حسن البنا وسقط شهيداً،ولازال العالم بانتظار انتصار خلفائه. .

إخوتى:

هل تعلمون لماذا كان أصحاب بدرٍ أفضل المسلمين؟ نعم (أنتم تعلمون): لأنهم دخلوا المعركة إيماناً بالله إيماناً مخلصاً وتصديقاً لرسوله تصديقاً صافياً وثقة نقيّةً بالنصر من عند الله، وهم لم يكونوا قد دخلوا معركة قبل هذا وجرّبوا نصر الله. . وها أنتم قد دخلتم وجرّبتم النصر مراراً. . فلم يتأخر نصرُكم اليوم؟

إنكم تقولون: إن حسن البنا كان مجدّدَ العصر الحديث، فماذا جدّد لكم حسنُ البنا؟ لقد وضع لكم معالم خطة العمل الإسلامى فى كلمة واحدة مفهومة: البيعة. . تبيعون أنفسكم وأموالكم وعلاقاتكم الاجتماعية وأوقاتكم بل وحتى طريقة موتكم، أى بالاستشهاد.

وعلام يخشى المرء فرقة روحه أوليس عاقبة الحيـــاة فراق

---

(١) آل عمران: ١١٠.

(٢) رواه مسلم.

تبيعون كل ذلك لمن؟ للذى أعطاكم هذه الأشياء، أعطاكم إياها مؤقتة.. بيعوها له.. فيثيبكم عليها جنة خالدة، ونعيما سعيداً، وما لا رأت عين، ولا خطر على قلب بشر من لذة غامرة.

حسن البنا لم يقل كلمة ويمشى.. حسن البنا المجدد.. أنطقه الله تعالى فجعل الكلمة المباركة (بيعة) حسنة.. وجعل الحسنة بعشرة أمثالها..فجعل البيعة أركاناً عشرة: فهمًا، وإخلاصًا، وعملاً، وجهاداً، وتضحيةً، وطاعةً، وثباتاً، وتجرداً، وأخوةً، وثقة.. وقال لكم: احفظوها . وإن شاء الله تعالى أنتم لها حافظون..لا حافظون بمعنى مستظهرون وحسب، وإنما حافظون بمعنى محافظون عليها.

إخوتى:

وقد وقفنا فى ركن الفهم ما شاء الله لنا.. وإذا كان المرشد الأول (حسن البنا) قد فصّل ركن الفهم عشرين تفصيلا، فهذا الركن حقيق بذلك التفصيل، ولقد أنتجنا فى ذلك الركن ما شهد بفضله الأعداء، قبل الأصدقاء، ومع كل ذلك يبقى ذلك الركن ركناً واحداً.. تتلوه تسعة أركان، علينا إتقانها كما أتقنا الركن الأول، لـ «**أن الله كتب الإحسان على كل شىء**»[(١)]. والإحسان إتقان العمل، وهذا يدفع عنا شبهة أننا لم نتجاوز الركن الأول، بلى قد تجاوزناه، فكان منّا المخلصون، وكان منا العاملون ما يحقُّ لنا الفخر بهم، وكان منا المجاهدون من أزالوا أقدام الطغاة ولم يزولوا بإذن ربهم، وكان منا المضحون من دخلوا باب الموت رصاصاً ومشنقة إلى جنات ربهم، وكان منا، وكان وكان.....ولكن.

إخوتى:

يبقى نداء الله الخالد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[(٢)]، إنه يوجه النداء إلى أناس قد آمنوا، إليكم أيها المؤمنون، فيقول ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾ أى اتقوا وأخلصوا، عند ذلك تنظرون بنور الله، فترون طواغيت الأرض والقوتين العظميين نموراً من ورق، وعند ذلك تبطشون بيد الله فيتهاوى هُبَل وتتناثر اللات والعُزى ويستسلم الكرملين وينهزم البنتاجون،ولا تتعجبوا، كما تعجب سُراقة المطارِد عندما بشّره رسول الله ﷺ المطارَد بسوارى كسرى جبروت الأرض أيامها، فـ ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾[(٣)].

(١) رواه مسلم. (٢) النساء: ١٣٦. (٣) يوسف: ٢١.

إخوتى:

وإن كان الركن الأول من بيعتكم هو الفهم، فالركن الثانى والتالى فى الأهمية والترتيب هو: الإخلاص.. ولقد قسم الفقهاء المسلمون جزاهم الله تعالى خيراً الدين تقسيماً اصطلاحيًّا، فقالوا: إن الدين ثلاثة أجزاء: نيّة وعلم وعمل.. أما دليل النية فهو الحديث المتفق عليه: «**إنما الأعمال بالنيات**». وأما دليل العلم، فهو حديث الطبرانى: «**اغد عالمًا أو متعلمًا أو مستمعًا أو محبًّا، ولا تكن الخامسة فتهلك**» والخامسة أن يبغض العلم وأهله. وأما دليل العمل فقوله تعالى:

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾[(١)].

.. وارتباط العلم بالعمل، وأنه قبله، مأخوذ من قوله تعالى:

﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾[(٢)].

وما أصاب التلف جزءاً من أجزاء الدين الثلاثة: النية، والعلم، والعمل.. أكثر مما أصاب الجزء الخفى منه وهو النية. ولعل هذا يفسر كثرة ما نرى من المسلمين وكثرة أعمالهم، ولكن قلة نجاحهم وتوفيقهم يقول تعالى:

﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾[(٣)]. ويقول ﷺ فى حديث مسلم: «**إن الله لا ينظر إلى أجسامكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**».

وإذا كانت الأعمال بالنيات، أدركنا أن الله تعالى لن يبارك فى أعمالنا إلا إذا خلصت نياتنا له. والفرق بين النية عموماً وإخلاصها خصوصاً يوضحه الحديث المتفق عليه: «**إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك ... فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله تبارك وتعالى عنده حسنة كاملة، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة. وإن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همَّ فعملها كتبها الله سيئة واحدة**».

والحل الإسلامى الذى يريد أن يبدأ بتربية الفرد وينتظمه بالجماعة المسلمة ليجسدوا الإسلام فى دولة الاستخلاف الإلهى، هذا الحل يرى فى وجود الصالحين شرطاً ضروريًّا، ولكنه كافيا.. فالآية تقول:

(١) العصر: ١ ـ ٣.
(٢) محمد: ١٩.
(٣) البقرة: ٢٨٤.

obeikandl.com

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾[١]، والمصلحون هم: الصالحون بأنفسهم ويعملون لإصلاح الناس، ومن أين يأتى لى صلاح النفس وإصلاح الناس إذا لم يكن لى الإخلاص ديناً وديدناً، ولم أصل إلى مرتبة: «**من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده لا شريك له، وأقام الصلاة وآتى الزكاة، فارقها والله عنه راض**»[٢].

فيا نفسى اسمعى واسمعى:

ها أنت تدّعين الايمان فيصدقك الناس على ما تُظهرين، فإن لم يكن هذا مطابقاً لما تبطنين، فأين تذهبين من رب العالمين.. علام الغيب والسر المكين.. فهل أنت حقًّا يا نفسى عند قوله: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ ﴾[٣].

فلا تَمنّى على الحركة الإسلامية أنك أسلمت.. بل الله يَمُنّ عليك أن هداك للإيمان، فافتحى أيتها النفس المسلمة للإيمان قلبك، وحّدى الله مخلصة له الدين.. واتخذى لا إله إلا الله، محمدٌ رسول الله منهج حياة.. هناك تلمسين حقًّا أن الله نور السموات والأرض، بعزته وهيبته وجلاله ينور أرجاء قلبك، فيندحر الشيطان الرجيم اللعين وأتباعه من الجن والإنس، ويُولول: ﴿ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[٤]، فيقول المهيمن الجبار المتكبر: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾[٥]، فيخسا إبليس وجنوده معترفين: ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾[٦]، كونى من عباد الله المخلصين.. وتجمّعى والمخلصين، و ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾[٧].

إخوتى:

ويقدم لكم المرشد الأول (حسن البنا) ـ **رحمه الله** ـ توضيحاً سهلاً ممتنعاً عندما يقول: (وأريد بالإخلاص أن يقصد الأخ المسلم بقوله وعمله وجهاده كله وجه الله، وابتغاء مرضاته، وحسن مثوبته من غير نظر إلى معلم أو مظهر ذي جاه أو لقب أو تقدم أو تأخر، وبذلك يكون جندى فكرة وعقيدة، لا جندى غرض ومنفعة:

---

(١) هود: ١١٧. (٢) رواه ابن ماجه. (٣) الأنفال: ٢ ـ ٤.
(٤) الحجر: ٣٩. (٥) الحجر: ٤٢. (٦) الحجر: ٤٠. (٧) غافر: ١٤.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[1].

وبذلك يفهم الأخ المسلم معنى هتافه الدائم: (الله أكبر، ولله الحمد، الله غايتنا).. ولو كان حسن البنا حاضرا معكم لأوصى كلاً منكم بما أوصى به رسول الله ﷺ معاذاً حين بعثه إلى اليمن، قال: يا رسول الله أوصنى. قال: «**أخلص دينك يكفك العمل القليل**»[2].

وهل يقال: لعمل مخلص فى سبيل الله مبارك فيه: إنه قليل؟ حاشاك ربى.

قليل منك يكفينى، ولكن قليلك لا يقال له: قليل

والإخلاص كله مجموع فى سورة واحدة، آياتها أربع، ولكنّ قيمتها تعدل ثلث القرآن، كما فى الصحيحين:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾[3].

الإيمان نية وعلم وعمل، إنما الأعمال بالنيات، والنيات يجب أن تكون مخلصة لله الأحد الصمد، فالإخلاص جذر الإيمان، وساقه العلم، وثمره العمل، هذه هى شجرة الإيمان المباركة، فعلينا بأصل هذه الشجرة، وهى النيات المخلصة.. نحن بعنا هذه الدنيا الفانية طمعاً بآخرة خالدة، فنحن معتقدون بوحدانية الخلاَّق.. ونحن راغبون فى لقائه، ونحن مشتاقون إلى وجهه الكريم، وإذا كان رجل من الدنيا يقول:

ولو أننى أسعى لأدنى معيشة كفانى ـ ولم أطلب ـ قليل من المال
ولكننى أسعى لمجدٍ مؤمَّل وقد يدرك المجد المؤمَّل أمثالى

فكيف بنا ونحن رجال الآخرة، وهل هناك مجد غير مجد الله؟ نعم، نحن نريد إقامة الدولة الاسلامية لنوطد حكم الله العادل فى الأرض، وستكون لنا مغنمًا، وسيكون لبعضنا مظهرًا، ولبعضنا جاهًا، ولكن. كل أولئك أدوات، كل هذه وسائل، أما الغاية فهى: مرضاة الله، وحسن مثوبته.. فلنحذر أن تكون هذه الوسائل غايات، سيكون هذا إشراكاً والعياذ بالله، ستشوب إخلاصنا الشوائب،

(١) الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣.
(٢) رواه الحاكم.
(٣) الإخلاص: ١ ـ ٣.

نحن نريد المال مثلاً ولكن لنتقوى به على طاعة الله، وننفقه فى سبيله، أما الدنيويون فيريدون المال لاكتنازه وللاستعلاء فى الأرض، وشتان بين ما نريد وما يريدون.

والإخلاص لله مطلق، لا مغنم، ولا مظهر، ولا جاه، ولا لقب.. حتى داخل الحركة الإسلامية، لا تنظر إلى شيء من هذا، وبذلك تكون جندى فكرة وعقيدة، لا جندى غرض ومنفعة، والإخلاص لله مطلق كما يقول ﷺ: «**يا أيها الناس أخلصوا أعمالكم، فإن الله تبارك وتعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما خلص له، ولا تقولوا: هذه لله وللرحم، فإنها للرحم، وليس لله منها شيء**»(١).

وكل جندى يقول لنفسه: يا نفس اسمعى واسمعى. إيّاك وشوائب الإخلاص، فهى من علامات خراب الروح.. وهى ليست خليقةً بالصالحين، فكيف للمصلحين. وعلامات خراب الروح منها:

١ـ النفاق: ـ والعياذ بالله تعالى ـ و «**آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**»(٢). وفى رواية: «**وإن صام وصلى، وزعم أنه مسلم**» ... وفى حديث آخر متفق عليه: «**وإذا خاصم فجر**».

ويا نفسى: إذا أنت أخلفت موعداً عاديا لحضور أسرة، أو حتى تأخرت عنه فكيف بك إذا دعا داعى الجهاد هل تكونى قد تدربت على الاستعداد؟!

٢ـ الجُبن: حيث إنه فى حديث مسلم: «**من مات ولم يغز، ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من النفاق**».

٣ ـ الظن وأشباهه: حيث قال ﷺ ـ فى حديث مسلم ـ: «**إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم الله .. المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى ها هنا، التقوى ها هنا** ـ ويشير إلى صدره ـ **بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وعرضه، وماله.. إن الله لا ينظر إلى أجسادكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم**».

---

(١) رواه البزار.

(٢) متفق عليه.

٤ـ الغيبة: وهى داء مستفحل، كأنه قد نسى قوله تعالى فيها:

﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾(١).

٥ ـ الغضب: ففى حديث البخارى: أن رجلاً قال للنبى ﷺ أوصنى. قال: «**لا تغضب** ـ فردد مرارا ـ قال: **لا تغضب**».

٦ـ الرياء: ففى حديث مسلم: «**إن أول الناس يقضى عليه: رجل استشهد، فأتى به، فعرفه نعمته فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت. ولكنك قاتلت لأن يقال: جرىء. فقد قيل.. ثم أمر به، فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار. ورجل تعلم العلم، وعلمه، وقرأ القرآن، فأتى به، فعرفه نعمته فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت. ولكنك تعلمت ليقال: عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارىء. فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار.. ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال، فأتى به، فعرفه نعمته فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت. ولكنك فعلت ليقال: هو جواد. فقد قيل. ثم أمر فسحب على وجهه، ثم ألقى فى النار**».

هذا الحديث دستور الإخلاص، إنه لقول رسول كريم، وما هو بقول شاعر، هذا الرسول الكريم هو دعوة أبيه إبراهيم المستجابة:

﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾(٢).

وأى كتاب لا ريب فيه هدى للمتقين إلا قرآن الله.. وأى حكمة عملية إلا حديث رسوله الكريم.

دامت لدينا ففاقت كل معجزة ... من النبيين إذا جاءت ولم تدم
محكمات فما تبقين من شبهُ ... لذى شقاقُ وما تبغين من حكم
فما تعد ولا تحصى عجائبها ... ولا تسام على الإكثار بالسأم
قرت بها عين قاريها فقلت له ... لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم

٧ ـ كثرة الترخص والتماس المعاذير: ففى حديث الترمذى: «**لا يبلغ العبد أن**

(١) الحجرات: ١٢.
(٢) البقرة: ١٢٩.

يكون من المتقين، حتى يدع ما لا بأس به، حذرا لما به بأس».

٨ ـ ركوب موجة التدين: وهؤلاء، مساكين، كأنهم لم يسمعوا بتبشير وإنذار رسول الله ﷺ عندما قال: «**بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة والدين والتمكين فى الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له فى الآخرة من نصيب**»(١). أى: من تظاهر بالإصلاح وغش وخدع. واستعمل أعمال الآخرة لجلب الدنيا وكسب خيراتها بمسوح الإصلاح لن يكون له فى الآخرة حظ.

٩ ـ وغير ذلك من الخراب الروحى: ككثرة التفكير فى متاع الدنيا، وأمور الدراسة، والعمل، والانصراف إليها كليًّا على حساب الدين، والشعور بالخوف على المستقبل أو من الناس ذوى الباطل.. إن القلوب المرتبطة يتردد فى جنباتها قول ربها الأحد الصمد: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾(٢)، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾(٣).

إخوتى:

وكيف نستصلح هذه الشوائب.. ألا عند رسولنا الأمين خبر السماء اليقين، يقول ﷺ: «**نضر الله امرءًا سمع مقالتى فوعاها، فرب حامل فقه ليس بفقيه.. ثلاث لا يغل عليهن قلب امرء مؤمن: إخلاص العمل لله، والمناصحة لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم**» أى: أن هذه الخلال الثلاث تنصلح بها القلوب، فمن تمسك بها طهر قلبه إن شاء الله تعالى.

وختاما:

سواءً اعتبرنا إخلاص النية ثلث الدين، معها العلم والعمل، وسواءً كنا فى جماعة ترى الإخلاص ثانى أركان بيعتها العشرة، فإننا يجب أن لا ننسى أن الإخلاص جزءًا من الإسلام يأخذ ويعطى لبقية الأجزاء، فعلينا بكل أجزاء الدين نوقن بها ونفهمها ونطبقها مخلصين، فنحن ندرك أن الإسلام كائن حى، لا يمكن اقتطاع جزء منه وتضخيمه على حساب البقية.. فلا أحد يستطيع أن يدعى الإخلاص فى النية، وهو قاعد عن العمل أو من الخوالف.

ومن رحمة الرحمن الرحيم بنا أن جعل النيات سراً بينه وبين عبده المؤمن، وهذا

(١) رواه أحمد. (٢) المائدة: ٤٤. (٣) المائدة: ٣.

ما يجب أن يطمعه فى عفو ربه عما مضى، ويجعله يقظاً محاسباً لنفسه فى ما هو آت.

فيا إخوتى:

إن أهل بدر كانوا بشراً أمثالكم، فكونوا أمثالهم، عند ذاك يتحقق الشرط والنتيجة الإلهية: ﴿ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾(١)، ونصركم الله هو إخلاص بيعتكم له:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾(٢).

ويا إخوتى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(٣).

إخوتاه .. هيا بنا لنركب فى ركب حضارة الإســـــلام ..

لأننـــا .. خيـــر أمـــة أخـــرجـــت للنـــــاس ..

هيا بنـا.. لنقـــود الأمم فنـــحـــن أمـــة الـريـــادة ..

هيا بنـا.. نسـتيقـــظ فنـــحـــن أمـــــة محمد ﷺ ..

(١) محمد : ٧.
(٢) الفتح: ١٠.
(٣) الحشر: ١٨.

openkandil.com

مستلزمات الريادة

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ (١) .

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ (٢) .

شاءت الإرادة الإلهية أن نعيش فى زمن أقصيت فيه شريعة الله عن واقع الحياة، وتصدرت قوى الشر من شياطين الإنس تتحكم فى رقاب البشر وتسومهم سوء العذاب، ونتج عن ذلك أن الفساد عمّ الأرض، وأصبحت الحياة جحيماً لا يطاق.

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ (٣) .

والبشرية اليوم تقف على مفترق الطرق، وهى تقف حائرة لا تدرى ما تصنع، فكثير من الآلهة التى عبدت وتعبد، هاهى الآن تتهاوى تحت معاول الجماهير، وهاهى الشيوعية العالمية التى صورها شياطين الإنس من اليهود على أنها الحل لمشكلات البشر تتهاوى فى عنفوانها، وتقف دول المعسكر الشيوعى حائرة تبحث عن الحلول عند دول المعسكر الغربى.. ودول الغرب بدورها تئن تحت وطأة الإفلاس الروحى والتضخم المالى، ولا تجد ما تقدمه لأبنائها سوى المخدرات والانتحار والمصير المجهول.. ودول العالم الثالث ـ المتأخر ـ أكثر حيرة؛ فهاهى ترى بعين الحيرة تلك الدول التى حسبت أن أمنها وأمانها أينما يكون الركون إليها، تراها تهوى يميناً وشمالاً، ويبدو وكأن العالم كله ينحدر فى هاوية لا قرار لها.. ومما يزيد فى دقة الموقف وحراجته أن البشرية لا ترى فى الأفق مرشحاً يتقدم للأخذ بيدها ليريها السبيل إلى الأمن، وليخلصها مما هى فيه من عذاب.

ودعاة الإسلام اليوم أكثر من أى عهد مضى، مدعوون للتفكير الملى والجدى فيما هم فيه وعليه، ومراجعة أنفسهم، وتقويم مسيرتهم، إنهم وحدهم يملكون العلاج لجراحات البشرية، فعندهم المنهج الذى وضعه خالق البشر للبشر، وعندهم الطريق السوى والمتوازن الذى فيه الحلول لمشكلات الإنسانية فى كل زمان ومكان، ومن الخطأ كل الخطأ أن نتصور أن صفات منهجنا هى الوحيدة التى تؤهلنا لقيادة البشرية، ذلك أن من صفات المنهج أنه منهج واقعى (٤) ، فهو منهج لا يمكن أن

(١) الأنبياء: ٧٣.
(٢) القصص: ٥.
(٣) الروم: ٤١.
(٤) هذا الدين، سيد قطب.

يقدم على شكل نظرية مكتوبة، إنما هو يعمل من خلال (جماعة رائدة) تتمثل ذلك المنهج وتقدمه للبشرية واقعاً مشاهداً لا نظرية باردة، ويوم أن تصل هذه (الجماعة) وأفرادها (الرواد) إلى درجة من الالتزام بالمنهج؛ يؤذن لهم بأن يأخذوا مكانهم الطبيعى فى قيادة البشرية وعمارتها، وخلافة الله فى أرضه، وعمارتها حسب منهجه.

والريادة ومستلزماتها هى موضوع حديثنا فيما يلى، وما توفيقى إلا بالله، عليه توكلت، وعليه فليتوكل المتوكلون.

أولاً: فى معنى الريادة:

والريادة كما جاء فى مختار الصحاح للرازى [١] فى باب (رَود) وهى الإرادة والمشيئة و (راوده) على كذا (مراودة) و (رواداً) أى إرادة. و (راد) الكلأ أى طلبه.

و (الرائد) الذى يرسل فى طلب الكلأ .

و (المراد) المكان الذى يذهب فيه ويجاء.

وفلان يمشى على (رُودُ) بوزن (عُود) أى على مهل، وتصغيره (رُوَيد).

ويقال (أرود) فى السير (إرواداً) و (مُروداً) بضم الميم وفتحها أى رَفَق.

وقولهم: «الدهر (أروَدُ) إذا غيّر» أى يعمل عمله فى سكون لا يُشعر به.

إن معنى (الريادة) كما نفهم مما تقدم أنها القيادة، ولكنها قيادة متميزة.. فالرائد هو الدليل الذى يقود الجماعة أو القبيلة إلى مواطن الماء والكلأ، ولقد قيل فى الأمثال: (إن الرائد لا يكذب أهله) وذلك أن مستقبل الجماعة وحياتها إنما تعتمد على مهارة روادها وقدرتهم على استكشاف مواطن الخير للجماعة. فإن كان (الرائد) عالماً ماهراً قاد الجماعة إلى ما فيه حياتها، وإلا فإنه يقود الجماعة إلى ما فيه حتفها وهلاكها.

وليس هنالك مجال للتجريب فى دور (الرواد)؛ فحياة الجماعة أثمن من أن تكون عرضة للتجريب، ولذلك كان دور الرائد فى قومه متميزاً.

ومن ظلال المعانى اللغوية التى ذكرناها آنفاً نفهم ظلال الكلمة وأبعادها غير

(١) مختار الصحاح، للرازى.

المباشرة؛ فمنها الثقة المطلقة التى تعطيها الجماعة أو القبيلة للرائد، وهذه الثقة تمنح للرواد بعد طول تجربة وتمحيص واختبار، وكذلك ففى الكلمة معنى (الرفق)، والرائد فى قيادته للجماعة إنما يقودها برفق يراعى فى ذلك الضعيف قبل القوى، ولا يحمل الجماعة على ما يشق عليها. .وفيها معنى العمل الدءوب المتواصل على المدى الطويل دون دعاية ولا تطبيل برغم مشاق الطريق ومصاعبه، وبرغم أهمية المهمة وخطورتها.

ثانياً: مستلزمات الريادة:

ولريادة الأمم صفات يجب أن يتصف بها الناس، كى يستحقوا لقب (الرواد)، وهذه الصفات هى التى تؤهلهم لكى يكونوا قادة وقدوات للناس، وموضع ثقة عندهم، وما لم تتوفر هذه الصفات، تكون الريادة دعوى فارغة لا معنى لها. . ونحن فى هذه العجالة سوف نأتى على أهم الصفات، دون أن ندعى الإحاطة بكل المستلزمات، فذلك أمر بعيد المنال، لتشعب الأمر، وتداخله مع مواضيع شتى. . ولعل أهم هذه المستلزمات ما يلى:

١- الإيمان العميق:

ونعنى به إيمانًا عميقًا، وصلة قوية بالله ـ تعالى ، وثقة بنصره، تنعكس على شكل إيمان عميق بالمنهج الربانى، وأنه المنهج الوحيد الصالح لسياسة البشر، وأنه الوحيد الذى يحقق خير الدارين للبشرية،وأن الناس دون ذلك المنهج إنما تسلم قيادها لألد أعدائها، وأنها بذلك تدع الفرصة لقوى الشيطان كى تقودها نحو حتفها، وتسومها سوء العذاب.

وأن ما تعانيه البشرية اليوم من أمراض إنما هو نتيجة مباشرة لتنحية المنهج الربانى عن واقع الحياة، وهو إيمان أيضاً بأن قدر البشرية فى اتباع هذا المنهج، وأنه سيأتى ذلك اليوم الذى يعم نور الدين على كل بقعة من بقاع الأرض، وأن هذا المستقبل إنما هو واقع لا محالة، نؤمن به حق الإيمان، وهو حق نصدق به أكثر مما نصدق بالمحسوسات التى حولنا، وأن هذا المستقبل إنما هو واقع قريب،بدأت بوارقه تلمح فى الأفق المظلم، وابتدأت أنواره تشع، وابتدأت شياطين الإنس والجن تحسب حساباتها وتعود مرة أخرى إلى جحورها، خشية النور الذى سيأتى لا محالة. .

﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ﴾ (١) .

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ (٢) .

﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) .

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ (٤) .

وقد يعترض علينا معترض، بأن هذا الإيمان موجود عند أبناء الحركة الإسلامية اليوم. ونقول: نعم، وذلك حق، ولكنه ليس بالدرجة المطلوبة، والعمق اللائق، والدليل أنه لم يتحول عند المؤمنين إلى تلك القوة الدافعة والمعين القوى الذى يدفع بالدعاة لاجتياز الصعاب، هو إيمان لا يمكن إخفاؤه، وتستطيع أن تلحظه. ولكننا نرى على العكس من ذلك؛ نرى حال الدعاة من الإيمان البارد، إيمان مؤداه أن التمكين حاصل، ولكنه بعيد المنال.. وهو بعيد إذا اعتقدنا ذلك، وكلما اعتقدنا بعده زاد بعداً، ولكننا نقول بلسان اليقين: إنه أمر حاصل بلا شك، وهو قريب.

﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٦ ﴾ (٥) .

إنه كقرب قصور الشام من المسلمين يوم الخندق، وهو كقرب إيوان كسرى من المؤمنين حينذاك، وهو كقرب سوار كسرى من سراقة يوم هاجر المصطفى ﷺ ـ مع صاحبه ـ رضي الله عنه الذى بكى عند اقتراب سراقة منهما، ولكنها بشارة المصطفى ﷺ لا لرفع المعنويات، ولكن لتثبيت حقيقة، وتقرير سنة من سنن الله.

«والذى نفسى بيده، ليتمن الله هذا الأمر، حتى يسير الراعى من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون».

٢- علو الهمة:

إن التصدى لقيادة الأمم وتخليصها من مخالب الجاهلية التى أطبقت أنيابها حولها أمر فى غاية الصعوبة، لا، بل هو ضرب من المحال دون عون من الله وفتح منه، ومثل هذه المهمات الشاقة لا يتصدى لها إلا من عظمت همته، واتصلت بالله

(١) المجادلة: ٢١.
(٢) الأنبياء: ١٠٥.
(٣) الصف: ١٣.
(٤) القصص: ٥، ٦.
(٥) الأعراف: ٥٦.

ووعده، همة ترفع صاحبها عن الدون من المتاع والملذات، يصدق فيهم قول الشاعر:

قد رشحوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

يحدوهم فى ذلك الدعاء الذى علمهم إياه خالقهم ومولاهم:

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[(١)] .

لهم نفوس تواقة إلى المعالى كنفس عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: (إن لى نفساً تواقة؛ لم تتق إلى منزلة إلا تاقت إلى ما هى أرفع منها، حتى بلغت اليوم المنزلة التى ليس بعدها منزلة، وإنها اليوم تاقت إلى الجنة»[(٢)].

وهكذا تتقدم هذه النفوس العظيمة بأصحابها، وترتقى بهم من منزلة إلى منزلة هى أرْفع منها، ولعظم هذه النفوس لن تقنع إلا بأن تحوز على الجائزة الكبرى والمنزلة العظمى التى ليس بعدها منزلة، والدرجة التى تتضاءل أمامها كل الدرجات، تلكم هى منزلة الفردوس. . . «**وإذا سألتم فاسألوا الله الفردوس**».

﴿ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾[(٣)] .

وعلو الهمة يلزمه التشمير عن ساعد الجد،وإلا كان تمنياً على الله. وذلك أن (الدنيا دار سباق إلى أعالى المعالى، فينبغى لذى الهمة أن لا يقصر فى شوطه. فإن سبق فهو المقصود، وإن كبا جواده مع اجتهاده لم يلم)[(٤)].

ولله در شوقى إذ يقول فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم:

وكان بيانه فى الهدى سبلا وكانت خيله فى الحق غابا
وعلمنا بناء المجد حتى أخذنا أمره الأرض اغتصابا
وما نيل المطالب بالتمنى ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

وقد سئلت امرأة عن أولادها، وقد قتلوا فى العراق ومصر وشمال إفريقية،عن السبب،فقالت:(أولئك قوم باعدت بينهم الهمم).

وقال أعرابى،وقد سُئل عن قومه، فقال:(نحن قوم لا يبرم الأمر دوننا).

وهكذا دعاة اليوم عليهم أن يعتقدوا ويعملوا، حتى يصبحوا فى موقع لا يمكن

(١) الفرقان: ٧٤.
(٢) أبو الحسن على الندوى، رجال الفكر والدعوة فى الإسلام.
(٣) النساء: ٦٩.
(٤) صيد الخاطر/ ٥٩٢.

أن يبرم أحد أمراً دونهم، ويصبح لهم من الثقل والأهمية فى تقرير مستقبل البشرية، ويعدوا أنفسهم ليكونوا ورثة هذه الحضارات العرجاء التى أوشكت على السقوط، إنه من العار أن يبرم أمر العالم دون أخذ المسلمين بنظر الاعتبار، لا، بل والأنكى من ذلك أن يبرم أمر المسلمين دون أن يحسب لهم حساب، إن الوقت قد حان ليعلنوها صريحة واضحة: (نحن قوم لا يبرم الأمر دوننا) يصدق فيهم قول النابغة الجعدى:

بلغنا السما مجدنا وجدودنا وإنا لنبغى فوق ذلك مظهرا

وصاحب الهمة العالية لا يأخذ بالرخص؛ وإنما يأخذ نفسه بالعزائم، كما علم ابن تيمية تلميذه النجيب ابن القيم ـ رحمهما الله تعالى ـ عندما قال له فى شىء من المباح: **إن ذلك لا يليق بطلاب المراتب العالية، وإن لم يكن تركه شرط فى النجاة.**

(ذلك أن طلاب المراتب العالية لا يقبلون مجرد النجاة، إنما هى الفردوس الأعلى، قد شمروا وشدوا لها الرحال، ومثل ذلك قول ابن الجوزى ـ **رحمه الله** ـ: ترخصت فى شىء يجوز فى بعض المذاهب، فوجدت فى قلبى قوة عظيمة، وتخايل لى نوع طرد عن الباب وبعد وظلمة تكاثفت).

٣- الصبر:

والصبر خلق من الأخلاق التى حث عليها فى القرآن فى نحو تسعين موضعاً.

(وهو واجب بإجماع الأمة، وهو نصف الإيمان؛ فإن الإيمان نصفان؛ نصف صبر، ونصف شكر) (١).

(وهو مذكور فى القرآن على ستة عشر نوعاً). **نذكر منها:**

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ ﴾ (٢).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٣).

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾ (٤).

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ (٥).

---

(١) تهذيب مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية.

(٢) البقرة: ١٥٣.
(٣) آل عمران: ٢٠٠.
(٤) العصر: ٣.
(٥) الزمر: ١٠.

والصبر صفة لازمة لمن أراد المعالى، وأنه يورث صاحبه درجة الإمامة. كما روى ابن القيم عن شيخ الإسلام ابن تيمية قوله:

(بالصبر واليقين تنال الإمامة فى الدين. ثم تلا قوله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[١].

وما أجمل قول الشاعر المخضرم حوط بن رئاب الأسدى[٢]:

دببت للمجد والساعون قد بلغوا ... جهد النفوس وألقوا دونه الإزرا

فكابروا المجد حتى مل أكثرهم ... وعانق المجد من أوفى ومن صبرا

لا تحسبنَّ المجد تمرا أنت آكله ... لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

ولعل من أهم أنواع الصبر هو صبر أصحاب الهمم العالية، فاستمع معى إلى ابن الجوزى يشرح لنا معاناته مع همته العالية:

(ما ابتلى إنسان قط بأعظم من علو همته، فإن من علت همته يختار المعالى، وربما لا يساعده الزمان، وقد تضعف الآلة فيبقى فى عذاب، وإنى أعطيت من علوّ الهمة طرفاً، فأنا به فى عذاب. ولا أقول ليته لم يكن، فإنه يحلو العيش بقدر عدم العقل، والعاقل لا يختار زيادة اللذة بنقصان العقل)[٣].

٤- الزهد:

لعل من أهم مستلزمات الريادة الزهد فى الحياة الدنيا. وهذه الحقيقة نلمسها من خلال دراسة تأريخ الرجال الذين كان لهم شأن فى تغيير واقع المسلمين.. والزهد المطلوب هو ذلك الزهد الذى امتاز به الرسول ﷺ وصحابته ـ رضوان الله عليهم ـ وتابعيهم من أمثال: الحسن البصرى وعمر بن عبد العزيز وابن المبارك والأئمة الأربعة وابن تيمية وحسن البنا وأمجد الزهاوى وعمر التلمسانى ـ رضوان الله عليهم أجمعين.

إن الدنيا لا تخضع إلا لمن أخرجها من قلبه، وجعلها فى يده. وليس هو زهد

---

(١) السجدة: ٢٤.

(٢) حوط بن رئاب الأسدى، شاعر مخضرم، أدرك النبى ﷺ ولم يره.

(٣) صيد الخاطر، ابن الجوزى.

أولئك الذين لبسوا الصوف، والدنيا ملء قلوبهم، وقد سأل أعرابى عن سيد قبيلته؛ بم ساد فيهم؟ فقال: (استغنى عن دنيانا، واحتجنا إلى علمه).

٥- استشعار المسئولية:

وهذه الجماعة الرائدة فى سيرها نحو هدفها الأسمى فى السالكين لدين الله، بحاجة إلى وقود، وإلى شحنات تدفعها نحو التغلب على ما فى الطريق من صعاب وعقبات تضعها أمامها قوى الشر كى تحول بينها وبين ما هو حقها الطبيعى.. ووقودها ينبع من إيمانها بوعد الله بالجنة وبالنصر، وكذلك من استشعارها بمسئوليتها وهى ترى البشرية البائسة تئن تحت وطأة الجاهلية. تنظر حولها وهى ترى الأعراض تستباح وتنتهك، وفراعنة اليوم تفتك بالأطفال فلا مخلص، وآلات القتل والإرهاب تفتك بالبشر، وطواغيت العصر قد استعبدت البشر واسترقتهم وكبلتهم بقيود أدمت النفوس قبل الأجسام، ويتلفتون حولهم فلا يرون أملاً لهذه البشرية إلا عندهم من منهج ونظام، وأنهم هم المخلصون للبشرية من آلامها، إنهم هم الأطباء الذين عندهم الدواء الناجع لأمراض البشر، فترى أحدهم لا يلتذ بفرش ولا يطيب له مأكل، ولا يضحك ملء فيه، ولا يسمح لنفسه أن تلعب وتلهو، فوقته أثمن من ذلك، أخذ يعد أنفاسه، ويتحسر لا على الساعة تضيع منه بل على النفس لمن كان على غير طاعة، واستمع معى إلى ابن الجوزى يحدثنا عن أثر علو الهمة عليه:

(وها آنذا أحفظ أنفاسى من أن يضيع منها نفس فى غير فائدة).

وكلامه يصدقه الشاعر:

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الأجسام

وله فى (صلاح الدين) قدوة، الذى كان يقول: بيتى خيمتى، وعدتى سلاحى، وكان يتجول منذ صباه، ويدرس قلاع الصليبيين، وكان يخطط لفتح بيت المقدس، ولم تهدأ نفسه، أو تقر عينه، إلا بالفتح.

وفى (محمد الفاتح) مثال، حيث كان يفكر فى حديث المصطفى ﷺ حول فتح القسطنطينية منذ صباه، ويفكر فى جميع الخطط الحربية الموصلة لذلك.

وفى (حسن البنا) إذ يروى عنه ـ **رحمه الله** ـ أنه سئل عن أهل غابات أمريكا الذين لم يصلهم الإسلام، هل يدخلون النار؟ فقال: (أخشى أن يدخلنى الله النار بسببهم).

٦- العقلية الريادية:

نمط من التفكير تمتاز به النفوس القيادية، وهو تفكير يصدق الهمة العالية، ويحولها من مجرد أمنيات إلى أفكار وخطط وبرامج، ويجعلها حية تمشى على أرض الواقع، وهذا النمط من التفكير يظهر فى أبسط الأمور، ولا يشترط العظيم منها.

قد رشحوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

ولعل من أهم ما يميز هذا النمط من التفكير ما يلى:

أ- العالمية:

الإنسان القيادى يتجاوز حدود المكان، ولا يحصره تفكيره فى الحدود الضيقة، فلا قطعة من الأرض تحده، وإنما فكره تجاوز بلده ليعم الأرض، وتجاوز الأرض ليعم الكون جميعاً.

أضحى الإسلام لنا دينا وجميع الكون لنا وطنا

فترى هذا الإنسان يرقب كل شاردة وواردة، ويتأمل فى آيات الله فى الكون وفى الخلق، يستلهم منها الإيحاءات والسنن الربانية، فهو تلميذ مدرسة الكون الرحيب.

وتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

ب- الذاتية:

العقلية القيادية عقلية مبادرة، همتها العالية ونفسها الطموحة، تدفعها نحو المبادرة بالخيرات، فتراه يبادر فى تنفيذ ما يوجه إليه من أوامر ويسبق التفكير القيادى، ويدفع بقائده نحو آفاق جديدة وفتوحات كبيرة، مثله مثل هدهد سليمان كيف أنه ومن خلال طيرانه أتى قائده بتقرير مفصل عن حالة أمة، فوصف له حالتها السياسية والاقتصادية والعقيدية، ومن ثَمَّ أعطى القيادة كل ما تحتاجه من التفاصيل للبدء بمعالجة الأمر.

ج- الإبداع:

والتفكير القيادى صفته الإبداع، فهو يرتاد الأماكن والآفاق، ما لم يسبقه إليها أحد، وهذه من سمات الريادة التى تحدثنا عنها آنفاً.. فهو أبعد عن التقليد

الأعمى، إنما هو فى تقليده لقدرته المتمثلة بالرسول ﷺ تراه يقلد على بصيرة، وعلى هدى:

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾[1].

فتراه دائماً يحسن العمل ويبدع فيه.. «**إن الله كتب الإحسان على كل شىء**»

والإبداع المحمود ما كان ملتزما بالكتاب والسنة، غير خارج عن حدودهما، أما إذا كان غير ذلك فهو (ابتداع) نبرأ إلى الله منه. والفرق بينهما أن الإبداع هو الاستعمال المنضبط للقدرات العقلية، أما (الابتداع) فهو استخدام متهور غير منضبط ولا ملتزم، ولا يأتى بخير.

ثالثاً: صفات الجماعة الرائدة:

إن التمكين لدين الله فى الأرض، وإقامة الخلافة الراشدة، لا يتصور قيامه إلا على يد جماعة رائدة.. ذلك أن مسألة الريادة الفردية يصعب أن تتحقق بمعناها الشمولى. فمن المحال فى هذا الزمان أن تجد الإنسان الذى يبرز فى مجالات شتى، ذلك لأن الحياة قد ازدادت تعقيداً، وأمر الإحاطة بما توصل إليه الإنسان فى هذا العصر أصبح غاية فى الصعوبة فى مجال واحد، ناهيك عن مجالات عدة؛ ولهذا السبب وجب أن يكون تحقيق المعنى الريادى على شكل جماعى، فتقوم الجماعة الرائدة بتحقيق صفة الريادة فى واقع الحياة ويسمو منهجها وأفرادها تبرز كقيادة للأمة.. ولكى تتحقق صفة الريادة فى الجماعة وجب أن تكون هذه الجماعة رائدة:

١- بأفرادها:

وقد تحدثنا عن مستلزمات الريادة فيما تقدم، وإن من الطبيعى أن نقرر هنا أن أفراد الجماعة يتباينون فيما بينهم فى نسبة تحقق الصفات التى ذكرناها.. ولكن ذلك لا يعنى التساهل فى الشروط، ولكن الصفات القيادية بدرجة أو بأخرى يجب أن تتحقق فى كل الأعضاء.

٢- بأهدافها:

لا يمكن أن تكتسب جماعة ما صفة الريادة ما لم تكن رائدة بأهدافها..

---

(١) يوسف: ١٠٨.

فالأهداف هى التى تجمع الناس، وهى التى تبرز المكمون من القوى عند الناس. . وكلما سمت الأهداف ازداد العطاء، وكلما تدنت الأهداف كان ذلك مدعاة إلى التراخى والكسل عند الجماعة، فإن التمكين لن يكون من نصيب جماعة تبتغى أن تتسلط على رقاب البشر، كما يفعل أصحاب الانقلابات العسكرية، ولكن الجماعة يُمكّن لها متى تجردت عن الأهواء والشهوات، وابتغت بعملها وجه الله، ولا تريد بعملها من الناس جزاء ولا شكوراً، وإنما هى المعذرة إلى الله.

٣- بوسائلها:

إن سمو الأهداف يجب أن يرافقه سمو الوسائل، وذلك تحقيقاً لأصول المنهج الربانى «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا**».

إن الجماعة الرائدة يجب أن تبتعد عن كل ما يخدش سمعتها، وأن تحرص على نقاء صحيفتها؛ فإن أخوف ما نخشاه على الجماعة الرائدة هو الركون إلى الظالمين، ولو كان الركون قليلاً.

﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾[(١)].

ولذلك فقد كان تركيز الإمام البنا على الجماعة بالابتعاد عن مواطن الشبهات، وكذلك البعد عن هيمنة الكبراء والأعيان من أصحاب المال والنفوذ والسلطة والجاه.

٤- بتنظيمها:

والتنظيم أمر مهم، وهو وإن كان يعد من الوسائل إلا أنه لأهميته ولتميزه عن الوسائل المرحلية، فقد ارتأينا أن نفرده، ذلك أن التنظيم المطلوب هو تنظيم أناس يفترض أنهم أصحاب طاقات وكفايات وقدرات عالية.

لذا وجب أن يكون فى غاية الإحكام ليتمكن من الصمود أمام هجمات الأعداء المتربصين.

وكذلك يجب أن يكون غاية فى المرونة التى تمكنه من الاستفادة وتوظيف قدرات الأعضاء على اختلاف إمكاناتهم وتوجيهها للوجهة التى تخدم أهداف الجماعة.

---

(١) الإسراء: ٧٤، ٧٥.

إن من أخطر المشاكل التى تواجه أى عمل منظم، هى عدم القدرة على استيعاب الناشطين من الأعضاء، إننا نرى أن الكثير من الجماعات تخسر الطاقات المتقدمة فيها لأن الأعضاء الناشطين يتجاوزون التنظيم، ولا يستطيع التنظيم أن يجاريهم، فتكون النتيجة هى التشتت، وهذه خسارة كبيرة؛ إذ إن تلك الجماعة قد خسرت طاقة من الطاقات التى وصلت إلى مرحلة العطاء.

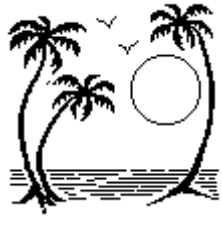

obeikandl.com